المرأة الحديدية

رصدت الصحف القاهرية فى شتاء ٢٠٠١ جنازير، ومطاوى، وسنج، وسكاكين، وبعض القطع الحديدية فى جيوب، وحقائب آنسات إحدى مدارس البنات فى سن الخامسة عشرة، والسادسة عشرة من العمر، فهل تعلم المدرسة، وأولياء الأمور بوجود هذه الأسلحة معهن؟.. وهل أصبحت المدارس مجرد أماكن لإيواء الأبناء خلال فترة الصباح؟.. وفقدت وظيفتها التعليمية، والتربوية بعد أن وجدت مصلحة الضرائب موردا جديدا لا ينضب؛ من مطاردة المدرسين الذين يطاردون التلاميذ بدورهم من أجل أموال الدروس الخصوصية؟.. فأصبح الطالب الموهوب، والمحبوب هو الذى يدفع لهم..

هل ما زالت هناك بالمدارس مجموعات الهوايات؛ كالرسم، والموسيقى، والفلاحة، والشعر؟.. كما كان الحال فى الماضى!.. ناهيك عن الرياضة، ما دور رجال مراكز الأبحاث، وأقسام علم الاجتماع، وأساتذته من كل هذا.. هل حذروا؟.. وهل نظر أحد بعين الاعتبار لهذا التحذير؟.. هل هناك علاقة بين التليفزيون، وهذا التسيب؟.. وهذا العنف، خاصة وأن أصحاب المحطات التليفزيونية يؤكدون أن هذه السن من المشاهدين يجلسون أمام الشاشات البيضاء قرابة ٤٠ - ٥٠ ساعة أسبوعيا، هل المسئول هو الضوضاء، والزحام، والتلوث، والفن الهابط، والبطالة، وضيق السكن، وقبحه، وقذارة ما حوله من شوارع تمتلئ بالفضلات، وأكياس القمامة، والقطط الضالة، والكلاب العاوية، وبرك المجارى، ومستنقعات المواسير المكسورة التى تنضح بالمياه طول العام، كيف ظهرت قيم اللامبالاة، والأنانية، والانتهازية؟.. وإذا كانت البنت فى هذه السن، وفى هذا المكان المقدس تتصرف بهذا السلوك العدوانى، أو الشروع فى العدوان، فكيف ستكون فى الجامعة، وكيف ستكون وهى زوجة،

ثم وهى أم؟..

فى إحصائية نشرها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية تقول إن ٣٨ ٪ من الأزواج يعانون من ضرب الزوجات لهم، وجاء فى التفاصيل أن كثيرا من الحالات لجأت إلى البوليس، والنيابة لأن الضرب كان مبرحا، وأصاب البعض بعاهات، وجروح غائرة..

وتستصغر د.إجلال إسماعيل حلمى أستاذ علم الاجتماع بآداب عين شمس هذه النسبة، وتقول إنها لا تقل عن ٥٠٪ لأنها والباحثين يرصدون حالات شكوى الرجال فقط، بينما هناك الكثير من الحالات لا يشكو فيها الرجل حيث يخجل من الشكوى من ضرب زوجته له، وإهانته..

وقد درست د.إجلال ٣٠٠ حادث عنف ضد الأزواج نشرتها الجمهورية بتاريخ ٢٢ من أبريل ٢٠٠٤ تبين منها أن ٢٥٪ من الأزواج تعرضوا للإيذاء من الزوجات..

وترجع د.ثريا جبريل الأستاذ بمعهد الخدمة الاجتماعية فى عدد الجمهورية الصادر فى ٢٩ من أبريل ٢٠٠٤ أسباب المشكلة إلى الزوجة التى نشأت فى بيت تكون فيه الأم هى المسيطرة، وعندما تكبر تجد نفس الظروف المواتية فى بيتها من ضعف الزوج، أو تنازله، أو مرضه، أو تدنى مستوى دخله فتمارس العنف ضده..

ويرى د.فاروق لطيف أستاذ الطب النفسى بجامعة عين شمس أن محصلة ضرب الرجل تساوى محصلة ضرب المرأة مرتين، أو ثلاثة فالمقبول أن يتعدى الرجل على المرأة، وليس العكس؛ فالمرأة مهيأة من الناحية النفسية لقبول ذلك، والتسامح فيه، وليس العكس..

ومن مقال محمود نافع بالجمهورية ٢٢ من أبريل ٢٠٠٤ الذى يرى أن الرجل من المفترض أنه رب الأسرة، والقائد حيث يفترض أنه واع، وفاهم، ومتمكن فهو المسيطر، والممسك بدفة الأمور، أما أن تنتزع منه الزوجة ذلك، وتستحوذ هى على دفة الأمور، ثم تقوم بالهجوم من أجل الدفاع عن المساحات التى استحوذت عليها من سلطته، وكيانه، وإن كان الرجل أحيانا يتنازل عن ذلك برضاه بزعم انشغاله، والتزاماته، أو سفره الدائم فتحل الزوجة محله فى البيت، وتمسك الزمام، وتوجهه حتى إنها توجه الزوج أيضا، الرجل هو كيان الأسرة؛ فهل تنازل طواعية عن ذلك؟..

وفى العام الماضى أكدت دراسات المركز القومى البحوث الاجتماعية أن ٣٠ ٪ من الزوجات يضرين أزواجهن، ولكن هذا العام وصلت النسبة ٣٨ ٪ بلا تراجع، ويفسر علماء الاجتماع ذلك بأننا كنا نتحدث عن تحرير المرأة فى الماضى، والآن بعد أن تحررت، وأخذت كل حرياتها أصبح الحديث منصبا

على تمكين المرأة؛ أى تمكينها من كل شىء، المراكز العليا، والوظائف الممتازة، وبجانب هذا تمكينها من قيادة الرجال، ويدللون على ذلك بالدراسات، والإحصاءات؛ ففى عام ١٩٦٨ قبل التمكين كانت النسبة ١٪ ثم ارتفعت إلى ٢٥ ٪ عام ١٩٦٩، وإلى ٣٠ ٪ فى ٢٠٠٥، ثم ٣٨ ٪ في ٢٠٠٦ ..

ويقول الاجتماعيون إن الاستقلال، والاستقرار لبعض النساء أعطاهن شعورا بالندية، والمنافسة، والمناطحة للرجل؛ فهى مثله تعمل، لها ماله، وعليها ما عليه، ولذا فهى ترفض منه أى وصاية، ولا تسمح بأن يكون له ميزة، أو تفوق عليها.

ومن مقال محمود نافع فى الجمهورية بتاريخ ١١ من مايو ٢٠٠٦ الذى عرض فيه دراسة لمركز البحوث الاجتماعية عن تصنيفات عنف المرأة تجاه زوجها، فرصدت الدراسة ٥٨,٨ ٪ عنف يصل إلى حد القتل العمد للزوج، ٥٩ ٪ ضرب أفضى إلى الموت، ٣٦,٦ ٪ استخدمت الزوجة آلة حادة، ١٤ ٪ عمليات خنق، ١١ ٪ إشعال حرائق فى الزوج، وهو ما يحير علماء التشريح والفسيولوجى عن تحول هذا المخلوق الوديع إلى مخلوق لا يطاق..

دراسة قامت بها كل من د.ناهد رمزى، د.سميحة نصر من باحثات المركز القومى للبحوث الاجتماعية تؤكد تنامى العنف ضد الرجل فيما بين ٢٠٠٣ – ٢٠٠٦ من ٢٣٪ - ٢٨٪ لتتربع مصر على المركز الأول فى هذه الجريمة البشعة، تليها بريطانيا، وتعلق جريدة الجمهورية فى عددها الصادر فى ١٤ من ديسمبر ٢٠٠٦ بأن البحث إنذار للمجتمع يهدد مؤسسة الأسرة..

وتعزى د.سهير عبد العزيز أستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر، وصاحبة دراسات ميدانية فى هذا المجال الظاهرة إلى قوانين الأسرة التى جاءت لتقلب الأمور رأسا على عقب، وركزت فى تحسين وضع المرأة دون النظر لحال الرجل، أو ما يحدث نتيجة لهذا الخلل؛ فأعطت القوانين للمرأة حق الطلاق للضرر، والخلع، ولم تعالج قضية السكن، والإقامة للطرفين باعتبارهما ركنى المجتمع، وإنما منحت المرأة حق الحصول على الشقة، والإقامة فيها، وحق النفقة، وحق الحضانة وغيرها؛ ولم تعط للرجل أى حق فى المقابل، فالرجل المخلوع يصير إلى الشارع، وعليه أيضا نفقة الأولاد، وتؤكد أن هذه القوانين ليست ضد الرجل وحده؛ بل ضد المجتمع، وفى نتائجها الأخيرة ضد المرأة نفسها، وضد أبنائها من هذا الرجل الذى يهان أمام أولاده، وبالتالى كانت النتيجة عزوف قطاعات كبيرة من الشباب عن الزواج «الطبيعى» الذى يحفظ للمرأة كرامتها إلى الزواج «العرفى» الذى لا يلتزم فيه الرجل بأى مسئولية سوى الإشباع الجنسى، وعلى المرأة كل مسئوليات الحياة، وكذلك زواج «المسيار»، والزواج

«الخادع» الذى يأتى فيه الرجل بشقة لا يملكها، ولا يحق له الإقامة بها مددا طويلة حتى إذا اختلف مع زوجته ترك الشقة لصاحبها، وترك زوجته..

وفى المقابل انخفضت جرائم القتل التى كانت تقوم بها المرأة ضد الزوج فى مصر، وذلك فى الفترة من سنة ١٩٩٤ إلى سنة ٢٠٠١ مع ازدياد فرص العمل النسائية، ودخولها مجالات عديدة وجدت فيها متنفساً لطاقتها التى كانت تستنفدها فى العنف، والعدوان الذى يتطور إلى القتل، وربما كان للأحكام الرادعة من القضاء المصرى لمثل هذه الحالات أثره الذى لا يمكن تجاهله..

وبالنسبة لهذه المشكلة(ضرب الأزواج) بعد أن تخطت المرأة حاجز الخوف، والمباغتة بالقتل، والتمثيل، نرى أن الظاهرة فى طريقها إلى الانحسار، فبعد القتل، والتمثيل ضرب، وتنكيل؛ بما يعنى التراجع الذى يوحى أنه لم يعد فى جعبة المرأة شيء آخر، فقد أصبحت قوة الرجل مصطنعة هذه الأيام؛ فلا معنى للرجولة فى عصر الفياجرا؛ فالمرأة هى دائماً أدق المقاييس، وأكثرها حساسية لرجولة الرجل؛ حتى إنها لا تتسامح فى أى ضعف من الرجل..

جاء فى ملحق الجمهورية محبوبتى، العدد الصادر بتاريخ ٢٨ من فبراير ٢٠٠٢ أن النساء أكثر عرضة للانتحار من الرجال بنسبة تصل فى بعض الأحيان إلى ٣٠٪، وترجع هذه الظاهرة إلى ضغوط المجتمع على المرأة، والتقاليد، وحجم الكبت الذى تعانى منه دائماً أكثر من الرجل، ويؤكد د.أسامة الغنام أستاذ جراحة المخ والأعصاب بجامعة الأزهر أن مرض الاكتئاب الذى يؤدى إلى الانتحار يمكن أن يصيب الأشخاص أصحاب الشهرة، والمكانة المرموقة، ويرجع د.عادل الكردوسى خبير علم الاجتماع بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية سابقاً السبب إلى الوحدة مع المرض النفسى، وإلى الطلاق، والبطالة، وتأخر سن الزواج، والمعاش المبكر..

وهناك ظاهرة تفشت هذه الأيام؛ وهى الجمع بين الأزواج(بعد انحسار الجمع بين الزوجات) يحلل أسبابها د.فكرى عبد العزيز أستاذ الأمراض النفسية والعصبية فى ملحق الجمهورية محبوبتى بتاريخ ٢ من أغسطس ٢٠٠١ بأنها ظاهرة نفسية قد تصل فى بعض الأحيان إلى المرض العقلى؛ فهذا السلوك الشاذ لا يصدر عن إنسانة طبيعية، والأسباب النفسية سببها التفكك الأسرى، وانهيار العلاقة بين الأبوين مما يوحى للفتاة بتسيب القيم، ويرى أن وسائل الإعلام لها دور فى ذلك فى المساعدة على هذا التسيب القيمى بإظهار الزوجة التى تسأم الحياة الزوجية، وتهتم برجل آخر غير زوجها، وتفكر فى الارتباط به، أو الهرب معه إذا لم يحلها زوجها من الارتباط؛ أما عن الجانب المرضى فربما يوجد

مرض عقلى كالفصام؛ خاصة الفصام البسيط، وهو يتميز بالاضطراب الوجدانى، والافتقاد للإرادة، ويشير إلى أحد الأبحاث التى أجريت فى مصر على من يمارسن الدعارة أكد أن نسبة عالية منهن يعانين من مرض الفصام البسيط..

البنت المسترجلة:

قد نصادف هذا النوع من البنات عندما يكون الأب هو المشرف الحقيقى على تربية البنت، أو تكون بيئة البنت مذكرة، ليس فيها سوى الأولاد، أو تكون البنت بتكوينها الطبيعى ذات ميول عدوانية، أو يكون أهلها قد اعتادوا تدليلها بإطلاق اسم ولد عليها، أو دأبوا على معاملتها معاملة الأولاد؛ فنراها عندئذ تتنكر لأنوثتها، وتنزع إلى منافسة الأولاد فى قدراتهم الذكرية، والتفوق عليهم؛ محاولة إثبات أنها ليست دون الأولاد الذين ينسب لهم السبق، والأولوية، ويستبعد د.زكريا إبراهيم أن يكون هذا وليد «عقدة الذكورة»، بل مجرد تعبير عن رغبتها الدفينة فى التنكر لتلك الدعوى التى يجابهها المجتمع بها حينما يخلط بين «الضعف»، و«الأنوثة»، وتقع الفتاة حيال ذلك بين تحديات الذكورة، وإغراء الأنوثة، حتى إنها لتتخذ «الإغراء» أداة عدوان، فتبدو الفتاة « كغانية صغيرة» تتبرج، وتظهر مفاتنها، وحين يستشرى هذا الداء مستقبلا فقد تقع فريسة للكثير من العقد النفسية التى قد تنحدر بها أحيانا إلى هوة الدعارة..